﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾ [الأنعام: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

طَلَبُهم لِلمَلَك الرّسول مَحْضُ استهزاء

بعد أن ذكرَ طلبَهم فيما سَبَق أن يُنزِّل عليهم ملكًا رسولًا؛ بيَّن في هذه الآيةِ أنَّ ذلك الطَّلبَ إنَّما كانَ على سبيلِ الاستهزاءِ برسولِ الله ﷺ فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾، فدلَّ على أنَّ مقترحَهم كان استهزاءً، وأنَّهم لم يطلبوا ذلك بقصد الإيمانِ والتَّحقُّق، وبيَّن لرسولِه أنَّ هذا الطَّلبَ كان له سابقةٌ أذِيَّةٍ في قرونٍ خَلَتْ مع الرُّسلِ قبلَ بعثتِه ﷺ، فناسبَ وقوعُ الآيةِ من سابقتها موقعَ التَّسليةِ والتَّصبيرِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتُهۡزِئَ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (هزأ)، من: هَزَأَ الرّاحلةَ؛ إذا حَرَّكها، والهُزءُ: مزحٌ في خفَّةٍ[1]، وأصل المادَّةِ من استخفافِ المستهزِئِ بالمُستَهزَأ به، وذَهاب قيمتِه عندَهُ، وكلُّ ما ورد في القرآنِ من هذا التركيبِ؛ فهو بمعنى الاستهزاءِ والسُّخريةِ مع استخفافِ قدْرِ المستهزَأ به[2].

2) ﴿فَحَاقَ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (حيق)، والمصدرُ: الحَوقُ والحوقُ لغتان، وهو نزولُ الشَّيءِ بالشَّيءِ، والحَيْقُ: ما حاقَ بالإنسانِ من مُنكَرٍ أو سوءٍ يعملُهُ، فينزلُ به ذلكَ، تقولُ: أحاقَ اللّهُ به مكرَهُ[3]، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: 43]، أي: لا ترجعُ

(1) الراغب، المفردات: (هزؤ).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هزأ).
(3) الخليل، العين، ابن فارس، مقاييس اللغة: (حيق).

عاقبةُ مكرهِم إلّا عليهِم![1] والحَوقُ: الكَنْسُ، حُقْتُ البيتَ أحوقُهُ؛ إذا كنستُهُ[2]، وهذا المعنى يدلُّ على جميلِ التَّعبيرِ في الآيةِ الكريمة في قولهِ: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾، فصاروا باستهزائِهِم من الرُّسُلِ كالأوساخِ الَّتي تُكْنَسُ.

3) ﴿سَخِرُواْ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (سخر): يقال: سَخِرَ منهُ وبه، أي: استهزأَ، والسُّخريَّةُ: مصدرٌ في المعنيين جميعًا، قال اللّهُ جلَّ وعزَّ: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون: 110]؛ أي: سُخريَّة، وسِخريًّا في الاستهزاء[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تسليتُهُ ﷺ بأنَّ الاستهزاءَ بالرَّسولِ - ﷺ - ليس أمرًا حادِثًا

لمّا حكى اللّهُ طلبَ المشركينَ إنزالَ المَلَكِ على جهةِ الاستهزاءِ بمحمَّد ﷺ؛ بيَّن تعالى له أنَّ الاستهزاء بالمرسلين - ﷺ - ليس خاصًّا بك وحدَكَ، وهذا تسليةٌ لرسولِ اللّهِ ﷺ عمّا كان يلقَى من قومهِ، وتأسٍّ بمن سبَقَ من الرُّسلِ، وتثبيتٌ للرَّسولِ على عدم اكتراثهِ بهِم، وأنَّه تعالى يكفيه شرَّهم وإذايتهم، إذ قد وقعَ من الكفّارِ السّابقين مع أنبيائهِم، فأحاطَ بهِم العذابَ والعقابَ الشَّديدَ المرتَّبَ على الاستهزاءِ الَّذي كانوا ينكرون وقوعَهُ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ العطفِ بالواوِ، في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾:

بيانُ أنَّ التَّعجيزَ ضربٌ مِنَ الاستهزاءِ، وهو دَيدنُ المكذّبين في كلِّ العصورِ

مناسبةُ عطفِ قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، على قولهِ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: 8]: أنَّهم كانوا في قولِهم ذلك قاصِدين التَّعجيزَ والاستهزاءَ معًا؛ لأنَّهم ما قالوه إلّا عن يقينٍ

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (حيق).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (حيق).
(3) الخليل، العين: (سخر).
(4) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/444، ونخبة من العلماء، التفسير الميسَّر، ص: 129.

منهم أنَّ ذلك لا يكونُ، فابتدئ الرَّدُّ عليهم بإبطالِ ظاهرِ كلامِهم بقولِه: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: 8]. ثمَّ ثنَّى بتهديدِهم على ما أرادوهُ مِنَ الاستهزاءِ، فقالَ: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، والمقصودُ مع ذلك تهديدُهم بأنَّهم سيحيقُ بهمُ العذابُ، وأنَّ ذلك سنَّةُ اللّهِ في كلِّ أمَّةٍ استهزأتْ برسولٍ له، والعطفُ لبيان تفنُّنِهم في المكابرة والعنادِ تصلُّبًا في شركِهم وإصرارًا عليه، فلا يتركون وسيلةً من وسائلِ التَّنفيرِ من قبولِ دعوةِ الإسلامِ إلّا توسَّلوا بها[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بلامِ القَسَم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾:

سنَّةُ اللهِ إهلاكُ المستهزئين، ممّن دأبُهم الاستهزاءُ بالرُّسلِ في كلّ حين

قولُه: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، اللّامُ للقسمِ فيه، و(قد) للتَّحقيقِ، وكلاهما يدلُّ على التَّأكيدِ، والمقصودُ تأكيدُ الإخبارِ باعتبار ما تفرَّع عنهُ، وهو قوله: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾ إلخ، فحالُ المشركين حالُ المتردِّدِ في أنَّ سببَ إهلاكِ السّالفين مِنَ الأمم الاستهزاءُ بالرُّسلِ، وفي التَّأكيدِ زيادةُ تصبيرٍ وتسليةٌ وتثبيتٌ للرَّسولِ ﷺ.

سِرُّ بناءِ الفعلِ للمفعولِ، في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾:

الاستهزاءُ بالرُّسلِ دأبُ الكافرين، وهو معهودٌ مع الرّسُلِ أجمعين

من أسبابِ البناءِ للمَفعولِ مراعاةُ غرضِ السّامعِ، فلو كانَ السّامعُ لا غَرَضَ له في ذكرِ الفاعلِ، أو أنَّ الفاعلَ لا يعنيه في شَيءٍ، فلا حاجَةَ لذكرِه، ومثالُهُ في هذهِ الآيةِ قولهُ تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ فليس مهمًّا هنا عندَ رسولِ اللّه ﷺ أن يَعلَمَ من الذي استهزأَ بالرُّسُل من الأقوامِ الَّتي فعلت ذلك، ولكنَّ المُهمَّ أن يَعلَمَ أنَّ الاستهزاءَ بالرُّسُل كانت سُنَّةً كونيَّةً حصلتْ مع رُسُلٍ كثيرين.

ويكونُ الغرضُ من البناءِ للمفعول تحقيرَ الفاعلِ وتهوينَ أمرِه،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/146.

فلا يُذكرُ، وهذا غرضٌ آخر يُضافُ إلى البناء للمفعولِ في قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾، وجاء ذلك في قولهِ تعالى مخاطبًا رسلَهُ يوم القيامة: ﴿*يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ [المائدة: 109]، أي: بأيِّ شيءٍ أجابتْ أمَمُكُم وأقوامُكُم لمّا أمرتُموهُم بعبادةِ اللهِ وحدَهُ؟ إلا أنَّ فاعل أَجَبْتُم حُذِفَ، وبُنِي الفعل للمفعول؛ لأنَّه لا يستحقُّ الذِّكْرَ تحقيرًا لشأنِهِ، قال الآلوسيُّ في تفسيره: "وفي العدولِ عن ماذا أجاب أمَمُكُم ما لا يَخفَى من الإنباءِ عن كمالِ تحقيرِ شأنِهِم، وشِدَّةِ السَّخَطِ والغَيظِ عليهِم، والسُّؤالُ لتوبيخِ أولئِكَ أيضًا، وإلّا فهو سبحانه علّامُ الغُيوب"[1].

بلاغةُ التَّنكيرِ، في قولهِ تعالى: ﴿بِرُسُلٖ﴾:

الاستهزاءُ بالرُّسل سُنَّةٌ مجتمعيَّةٌ؛ لكراهةِ الحقِّ من كفّارِ البشريّةِ

قال: ﴿بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾، ولو شاءَ لقالَ: (بالرُّسُلِ من قَبلِكَ)، وذلك لفائدتين الأولى التَّكثيرُ: فتنكيرُ (رُسُل) هنا أفادت معنى: (أنَّ كثيرًا من الرُّسلِ من قَبْلِكَ قد استهزَأَتْ بِهِم أقوامُهُم)؛ ليُعلَمَ أنَّ أمرَ الاستهزاءِ سُنَّةٌ مجتمعيَّةٌ، وهي سُنَّةُ اللهِ في رُسُله، فأكثر النّاس يكرهون الحقَّ، ويرفضون الهُدى، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨﴾ [الزخرف: 78]. والفائدةُ الثّانية: أنَّ التَّعريف يفيدُ جميع الرُّسلِ، ولعلَّ بعض الرُّسل لم يتعرَّضوا إلى ذلك الاستهزاءِ، مثالُ ذلك قومُ يونسَ، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: 98].

زيادةُ حرفِ الجرّ مع الظّرف، مُوحٍ بإبغالِ ظاهرةِ الاستهزاءِ بالرُّسُلِ في الزّمن

دلالةُ حرفِ ﴿مِن﴾، في قولهِ تعالى: ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾:

﴿مِن﴾ ابتدائيَّةٌ للتَّوكيدِ، فلم يقلْ: (ولقد استُهزئ برسلٍ قبلك)؛ وتُزاد (من) إنْ كانَ المجرورُ بها نكرةً، وفائدتُها: الإشعارُ بعميقِ الزَّمانِ الَّذي لاقَت فيه الرُّسُل ذلك الاستهزاءَ من أقوامِها، وعلى

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/53.

مدى القُرونِ، فقد لاقت الرُّسُلُ من عهدِ نوحٍ عليه السلام - وهو أوَّلُ الرُّسلِ - قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: 38]، إلى عيسى عليه السلام -وهو آخرهم - قبل محمَّد ﷺ، فكُلُّ أولئكَ لاقَوا ما لاقَوا من الإنكارِ والعناد والاستهزاء والإيذاء.

بلاغةُ التَّعبيرِ بفاءِ التَّفريعِ، في قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾:

إهـلاكُ السَّاخرينَ إعلامٌ بدفاعِ اللهِ عن أوليائِه المرسلين

قوله: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ﴾ تفريعٌ، على قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، وقدِ اصطفى النَّظمُ الكريمُ ﴿فَحَاقَ﴾ على (أهلَكَ) لما فيها من الإحاطةِ؛ دلالةً على تمكُّنِ ذلك منهم، وعدمِ إفلاتِهِ أحدًا منهم، وفائدةُ ذلك التَّفريع؛ أنَّه لمّا كان الَّذين سَخِروا يدعون النّاس إلى السُّخريَّةِ من الرُّسل، فقد أحاطتْ بهم ذنوبُهُم، وذنوبُ الَّذين سخروا، وحقَّ عليهمُ العذابُ، قال الزَّمخشريُّ: فأحاطَ بهمُ الشَّيءُ الَّذي كانوا يستهزئونَ به، وهو الحقُّ، حيثُ أُهلِكوا من أجلِ الاستهزاءِ بهِ[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ، في قولِهِ تعالى: ﴿بِٱلَّذِينَ﴾:

تكونُ العقوبةُ والإحاطةُ بالَّذين سَخِروا خاصَّةً، ولا يظلمُ ربُّك أحدًا

وعبَّرَ بالاسمِ الموصولِ في قوله: ﴿بِٱلَّذِينَ﴾، بدلًا من أن يَقولَ: (بالسّاخرين)؛ للإشعارِ بعلّةِ الحُكمِ، فالعُقوبَةُ والإحاطَةُ أصابَت الَّذين سَخِروا خاصَّةً، والباءُ للإلصاقِ تَناسُبًا مَعَ دِلالةِ ﴿فَحَاقَ﴾، وما فيها من الإحاطةِ، وفي ذلك كلِّه تأكيدٌ على الهَلاكِ التّامِّ بسببِ الاستهزاءِ بالرُّسلِ.

وَجهُ عَودِ الضَّميرِ، في قوله تعالى: ﴿مِنْهُم﴾:

تخصيصُ الهلاكِ بمن يستحقُّه، ولا يجني العقوبةَ إلّا من زرعَ المخالفةَ

وللتَّعبيرِ بالضَّميرِ في ﴿مِنْهُم﴾ موقعٌ بديعٌ، فيحتملُ أن يكونَ عائدًا على ﴿بِرُسُلٍ﴾، والمعنى: (فَحاق بالَّذينَ سَخِروا مِن الرُّسُلِ)،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/8.

ويحتملُ أن يكونَ عائدًا على ﴿بِٱلَّذِينَ﴾، والمعنى: (فَحاقَ بالسّاخِرينَ أنفسَهُم)، فيكونُ فيه تخصيصُ الهلاكِ بمن سَخِرَ لا يتعدّاه لغيرِه.

بلاغةُ الاحتباكِ، في ثنايَا الآيةِ الكريمة:

سُـنـنُ الـلـهِ في الـوجـودِ أقـوَى وأبلغُ وأجدَى

قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يدلُّ على جملتينِ مطويَّتين إيجازًا، دلَّ على حذفِ جملةِ: (ولقدِ استهزِئَ بك)، وإثبات جملةِ: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ دلَّ على حذف جملةِ: وسيُحاق بالَّذين سخروا منك ما كانوا به يَستَهزِئونَ، فأثبتَ ما وقعَ، وحذفَ ما لم يقع؛ اكتفاءً بالقياسِ على ما وقعَ، وهو أسلوبٌ بديعٌ موجزٌ.

معنى (الباء) في قولِهِ تعالى: ﴿بِهِۦ﴾:

إلـصـاقُ الاسـتـهـزاءِ بـالـرُّسُـلِ وبـالـرِّسَـالَاتِ؛ لبيانِ ما جنتهُ الضّلالاتُ

الباءُ للإلصاقِ تناسبًا مع دلالةِ ﴿فَحَاقَ﴾، وما فيها من الإحاطةِ، قال ابن هشام: "وهو معنًى لا يفارقُها، فلهذا اقتصرَ عليه سيبويهِ"[1]، وكلامُ سيبويهِ يفيدُ أنَّ معنى الإلصاقِ في (الباء) معنًى أصليٌّ، وغيره من المعاني تابعٌ له، فقد أُلْصِقَ الاستهزاءُ بالرُّسلِ وبالرِّسالات، لِبَيانِ شَنيعِ ما تفعلُهُ الأقوامُ بالرُّسلِ من التَّكذيبِ والاستهزاءِ، ولبيانِ أنَّ هذه صفةٌ ملتصقةٌ بالأقوام، فهي سُنَّةُ اللهِ في الرُّسُل وأقوامِهم.

وجهُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿بِهِۦ﴾:

الـهُـزءُ بـالـدِّيـنِ والشَّرائعِ، أبشعُ صُورِ السُّخريةِ

والباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ لتعدية فعلِ الاستهزاءِ، ووجود الباءِ مانعٌ من جعلِ ﴿مَّا﴾ غيرَ موصولةٍ، والمرادُ بـ ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما أنذرَهُمُ الرُّسلُ به من سوءِ العاقبةِ وحلولِ العذابِ بهم، فحصلَ بتقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿بِهِۦ﴾ فائدةٌ أخرى، وهي أنَّ المستهزئينَ كانوا يستَهزِئون بالرُّسل، وبخاصَّةٍ فيما ينذرونَهُم به من حلولِ العذابِ، إنِ استمرّوا على عدمِ التَّصديقِ، بما جاؤوا بهِ.

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 137.

بلاغةُ المجازِ العقليِّ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ:

إسنادُ الهلاكِ لسببهِ تفظيعٌ للاستهزاءِ، وتحفيزٌ على سُرعةِ الإقلاعِ عنهُ

قوله: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، أصلُ تركيب الآيةِ: فحاقَ بالَّذين سَخِروا منهم العقابُ لاستهزائِهم بما أُنذِروا به، وفي الآية الكريمةِ تمَّ إسنادُ الفعلِ إلى السَّببِ المؤدّي للعقابِ، وهو الاستهزاءُ بالمرسلين، وفي هذا الإسنادِ تبشيعٌ للسَّبب، وتفظيعٌ له في التَّصويرِ كأنَّه المُعاقِبُ، كما أنَّ في هذا الأسلوب إيجازًا ومبالغةً.

وقد ردَّ الآلوسيُّ هذا الإسنادَ إلى الفعل، فقالَ: "ومن النّاس من زعمَ أن (حاق بهم) كنايةٌ عن إهلاكهم، وإسنادُه إلى ما أسندَ إليه مجازٌ عقليٌّ من قبيلِ: أقدمني بلدَك حقٌّ لي على فلانٍ؛ إذ من المعلوم من مذهبِ أهل الحقِّ أنَّ المُهلِكَ ليس إلّا اللّهُ تعالى، فإسنادهُ إلى غيره لا يكونُ إلّا مجازًا، وأنت تعلم أنَّ الحيقَ: الإحاطةُ، ونسبتها إلى العذابِ لا شبهةَ في أنَّها حقيقةٌ، ولا داعي إلى تفسيرِه بالإهلاكِ وارتكابِ المجازِ العقلي، ولعلَّ مرادَ من فسَّر بذلك بيانُ مؤدَّى الكلامِ ومجموعِ معناهُ، نعم إذا قلنا: إنَّ الإحاطةَ إنَّما تكون للأجسامِ دون المعاني، فلا بدَّ من ارتكاب تجوُّزٍ في الكلام على تقديرِ إسنادِها إلى العذابِ، لكن لا على الوجهِ الَّذي ذكرهُ هذا الزَّعمُ كما لا يخفى"[1].

معنى ﴿مَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾:

كلُّ ما له صِلةٌ بالسُّخريةِ، قد حَاقَ بالأقوامِ نَكالُه ليُهلِكَهُم

﴿مَّا﴾ هنا اسمٌ موصولٌ بمعنى (الذي)، و(ما) تقعُ على ذواتِ ما لا يَعقِلُ، وعلى صفاتِ من يَعقِلُ، وبذلك فإنَّ (ما) أكثر إبهامًا مِنْ (مَنْ)، وتقعُ على كلِّ شيءٍ[2]. و﴿مَّا﴾ أفادت هُنا أنَّه قد حاقَ بالَّذين سخروا كُلُّ ما كانوا به يستهزئونَ، فكلُّ ما يَمُتُّ بِصِلَةٍ إلى السُّخريَّة مِنَ الرُّسُل ومن الرِّسالاتِ الَّتي جاؤوا بها من عندِ اللّهِ، قد حاقَ بهم، وأحاطَ بهم نكالُه ليُهلِكَهُم.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/97.
(2) سيبويه، الكتاب: 2/309.

سرُّ ردِّ العَجُزِ على الصَّدرِ، في الآية الكريمة:

قدِ استشهد بالآيةِ في موضع التَّصديرِ، أو ردِّ العَجُزِ على الصَّدرِ، وفائدةُ هذا الفنِّ البلاغيِّ في الآيةِ الكريمة بيانُ ما قد أحاطَ بهؤلاءِ القوم من غَوايةِ الشَّيطان وإضلالِهِ، وتأكيدِ سببِ العذابِ.

تـدورُ الـدَّوائـرُ عـلى المـقـتـفِين غـيـرَ الـحـقِّ، والمـعـانِـدِيـن بالباطلِ

التَّشابهُ اللَّفظِيُّ مع آية الرّعد:

يظهرُ التَّشابُهُ اللَّفظيُّ للآيةِ مع قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾ [الرعد: 32]. وهذه الآية تُفسِّرُ معنى (حاق) في آية الأنعام، فذكرَ بعد ما وقع مِنَ الأقوام من الاستهزاءِ بالرُّسلِ، فقال: ﴿فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والذين كفروا هم أنفُسُهُم الذين استهزؤوا بالرُّسُل، وقال: ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ﴾، فجعل معنى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أن يتضمَّنَ الإملاءَ لهم، ثمَّ أخذهم بما أملَى عليهم.

الحَوقُ يَتَضَمَّنُ الإملاءَ لهم، ثمَّ أخْذَهم بما أُمليَ عليهم

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(حاق) و(أحاط):

قولهُ تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨﴾ [هود: 8]. قال ﷺ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: 43]، أي: لا ينزلُ ولا يصيب إلّا أهلَهُ، وأصلهُ حقٌّ، فَقُلِبَ[1]. فَحاقَ تَضَمَّنَتْ معنى إنزالِ العذابِ والإصابةِ، وما يُحقِّقُه من الأثرِ العظيم على خلاف الإحاطة، فالحائطُ الجدارُ الَّذي يحوطُ بالمكانِ، والإحاطةُ تُقالُ على وجهين: أحدهما: في الأجسام نحو: أَحَطْتُ بمكانِ كذا، أو تستعملُ في الحفظِ والقدرة نحو: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [فصلت: 54]، أي: حافظٌ له من جميع جهاتِهِ، وقادر على التَّصرُّف به، وتستعمل في المنعِ نحو: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف: 66]، أي: إلّا أن تمنعوا. والثاني: في العلم نحو قولهِ: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ١٢﴾ [الطلاق: 12]، وذلك ليسَ إلّا للّهِ تعالى، وقال ﷺ: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ

لـفـظـةُ (حـاقَ) أبـلـغُ مـن (أحـاطَ)، في مـعـنـى وقـوعِ الـعـذابِ وتلبُّسِهم به

(1) الراغب، المفردات، ص: 266.

بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: 39]، فنفى ذلكَ عنهم[1]، فتكونُ الإحاطةُ تحتمل الحفظَ وتمام العلم، وتكونُ كلمةُ (حاق) أبلغَ في وقوعِ العذابِ وتلبُّسِهم به.

(سخروا) و(استهزأوا):

الاستهزاءُ مزحٌ في خفَّةٍ، والسُّخريَّةُ المُبالغةُ فيها

السُّخريَّةُ والاستهزاءُ يمكن أن يحدثا في موقفٍ واحدٍ، فهما درجتان أو مرحلتان؛ والاستهزاءُ يأتي أوَّلًا ثمَّ السُّخريَّةُ، والاستهزاءُ مزحٌ في خفَّةٍ، والسُّخريَّةُ المُبالغةُ في الاستهزاءِ وتسخير الجهدِ فيهِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الصّافّات: 14]، أي: يدعو بعضُهم بعضًا للاستهزاءِ والسُّخريَّةِ.

والاستهزاءُ مرادفٌ للسُّخريَّةِ في كلام أئمَّةِ اللُّغة، فذكر ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾ أوَّلًا لأنَّهُ أشهرُ، ولمّا أعيدَ؛ عبَّر بـ ﴿سَخِرُوا۟﴾، ولما أعيدَ ثالثَ مرَّةٍ؛ رجعَ إلى فعل ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ لأنَّه أخفُّ من (يسخرون)، وهذا من بديعِ فصاحةِ القرآنِ المعجزةِ.

وأصلُ مادَّةِ (سخر) مؤذنٌ بأنَّ الفاعلَ اتَّخذ المفعولَ مسخَّرًا يتصرَّف فيه كيف شاءَ بدون حُرمة؛ لشدَّةِ قربِ مادَّةِ (سخر) المخفَّفُ من مادَّةِ التَّسخيرِ، أي: التَّطويعِ، فكأنَّهُ حوَّله عن حقِّ الحرمةِ الذّاتيَّةِ، فاتَّخذ منه لنفسِهِ سخريَّةً[2].

ولقد تعدَّى استهزأَ بـ (الباء)، وسَخِر بـ (من) كما قال: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: 38]، وبالباءِ تقولُ: سَخِرْتُ بهِ، وتكرَّرَ الفعلُ في آيةِ هودٍ لخفَّةِ الثُّلاثي، ولم يتكرَّرْ في ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾، فكان يكونُ التَّركيبُ، فحاقَ بالَّذين استهزَؤوا منهم؛ لثقلِ (استفعل)، والظّاهرُ في (ما) أن تكون بمعنى الَّذي، وجوَّزوا أن تكونَ (ما) مصدريَّةً[3].

(1) الراغب، المفردات، ص: 152.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتَّنوير: 7/148.
(3) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/445.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»